

الدخيل في تفسير جزئي تبارك وعمّ من تفسير البغوي

فايز صالح الخطيب

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً،
والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث
رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فقد خصّ الله تعالى هذا الكتاب وميّزه عن سائر الكتب
السماوية الأخرى بأن جعله معجزة خالدة للرسول - صلى الله عليه
وسلم - ومنهاج حياة، وقد تكفل سبحانه بنفسه بحفظه من التحريف
والتبديل، وصيانه من العبث والباطل، وأسند إليه وظيفة الهيمنة على
الكتب السابقة، فهو مصدق لها وحاكم عليها، ومقدم على ما سواه
وأناط الله به عزّ الدنيا وسعادة الآخرة.

ولأن الله تعالى وكل حفظ كتبه السماوية السابقة إلى الناس
فلم يحافظوا عليها، فأصابها التحريف والتبديل، وأضيف إليها كلام

غير كلام الله، وأخفى أصحابها كثيراً من الحق الذي فيها، ولو لوأ
الستتهم بالكتاب، ونسوا حظاً مما ذكروا به، بعد أن كانت كتب
هداية ونور ورحمة، فحوت بعد ذلك من الخرافات والسخافات
والأباطيل شيئاً كثيراً، مما يخالف صراحة نصوص القرآن الكريم،
والسنة النبوية الصحيحة ويتناقض مع العقل، وسنن الله في الكون، بل
ونُسب فيها إلى الله تعالى، ورسله الكرام، وملائكته الأطهار ما
لا يصح أن ينسب إليهم، مثل التمجيم والتشبيه بالنسبة له سبحانه،
وفعل الفواحش، ومحاولة ارتكاب جريمة القتل والمكر والكذب
بالنسبة إلى أنبياء الله عليهم السلام، ومثل هذا الركام من الأساطير
والخرافات الإسرائيلية قد تسرب كثير منه إلى ساحة التفسير عن
طريق مسلمة أهل الكتاب، ومما ساعد أيضاً على وجود الدخيل في
التفسير، أنه قد وجد في المجتمع الإسلامي، فتن وأحداث استغلت
لللس والوضع، كفتنة خلق القرآن، والدعوة إلى العصية والعنصرية،
ووجود فئات ومذاهب سياسية ودينية متعددة، قام بعضهم بتأويلات
فاسدة لبعض آيات القرآن وحملها ما لا تحتمل، لترويج مذهبه
ولتوافق هواه، فهكذا كثر اللس والاختلاق، وانتشار الأحاديث
الموضوعة والمنكرة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم،
علاوة على ما وضعه القصاص من غرائب وعجائب، وما وضعه
كذلك بعض الزهاد وغلاة المتصوفة من أحاديث في الترغيب
والترهيب، وفي فضائل كل سورة من سور القرآن حسبة لله وتقرباً
إليه، ثم ما كان لحذف الأسانيد من أثر سيء في وجود الدخيل

والإسرائيليات، وبسبب هذه العوامل والمؤثرات أخذت الأساطير والمرويات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة طريقها إلى تفسير القرآن الكريم، وإلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتبس الصحيح بالعليل حتى كادت تغطي على التفسير الصحيح لكتاب الله وتخفي جماله.

ونظراً لخطورة هذه المرويات الدخيلة وآثارها السيئة، التي سأذكرها بالتفصيل في الفصل الثاني تحت عنوان: مدى خطورة الدخيل وآثاره السيئة (ص/٥) اخترت هذا البحث العلمي المتواضع محذراً من رواية الدخيل والإسرائيليات أو نقلها إلا بقصد التحذير منها وبيان كذبها.

وهذه الدراسة دعوة ونداء إلى كل الإخوة المتخصصين في هذا المجال للعمل على تنقية كتب التراث وخاصة كتب التفسير مما علق به من مرويات باطلة وأحاديث واهية.

وهي أيضاً من أجل إبراز واحد من أعلام الإسلام الذين أفنوا حياتهم، وبذلوا جهودهم في التصنيف والتأليف خدمة للإسلام وخاصة في جانب التفسير، وإظهار مكاتبه العلمية اللاتمة به.

والحق أن تفسير البغوي المسمى - معالم التنزيل - من أجل كتب التفسير، وحاز شهرة عظيمة بين العلماء وطلبة العلم، وأثنى عليه كثير من العلماء، وأشادوا بقيمته العلمية ولكنه كان مشوباً بالدخيل والأساطير والقصص الغريبة فأحببت أن أقوم بتحرير آخر جزئين منه رغبة في تعميم الفائدة للمسلمين، حيث إن الجزئين

الأخيرين يقرؤهما أكبر عدد من المسلمين في الصلاة وغيرها. واقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة جعلت الفصل الأول يحتوي على مبحثين، الأول: التعريف بحياة البغوي، والثاني: معنى كل من التفسير والأضيل والدخيل والإسرائيليات، والعلاقة بين الدخيل والإسرائيليات، أما الفصل الثاني فقد جعلته لبيان مدى خطورة الدخيل وآثار السيئة والفصل الثالث بيّنت فيه ما ورد من الدخيل في تفسير جزئي تبارك وعمّ، ووجدت أن ستّ سور من هذين الجزئين قد دخل في تفسيرها الدخيل من إسرائيليّات وروايات خرافية وهي: تبارك، والقلم، والحاقة، والنبأ، والمطففين، والفجر، والخاتمة: نتائج البحث واقتراحات وتوصيات.